الباب الثالث

الصراعات والتحديات

obeikandl.com

obeikandl.com

الهوية الإسلامية والتحديات التي تواجهها

قال تعالى: (الر كِتَابٌ أنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)، وقال تعالى:(لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُواوَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)،وقال تعالى:(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) ٠

إن البحث في موضوع الهوية من القضايا الأساسية التي شغلت المثقفين في العالم، فالهوية قضية محورية، سواء على الصعيد الأمني أو التنموي والهوية الإسلامية متميزة بمرجعها الربانية،وهو ما يعطي للمجتمع الإسلامي قيمته ويحفظ عليه تماسكه ولا عزة له بدونها٠

ويتحدث التاريخ عن الكثير من الأحداث التي مرت بالمجتمع الإسلامي وكانت تهدف إلى طمس هويته وتشتيت انتمائه ومن هنا كانت أهمية الدور الذي ينهض به مثقفوا الأمة الإسلامية في تنمية الوعي بحقيقة الهوية الإسلامية وأهميتها، وإيضاح ركائزها، والدعوة إلى تجسيد مبادئها إلى واقع، والدفاع عنها، ودعوة الغير إليها ومن أخطر ما يمكن رصده من التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية ما يلي :

١ـ الغزو الفكري عقائدياً واقتصادياً وثقافياً وأخلاقياً بشتَّى أنواع الغزو الإعلامي والدعائي٠

٢ـ التقليد للغرب والمحتل بل والقابلية لذلك ٠

٣ ـ ضعف عناية الناس وتمسكهم بفقه السلف الصالح ومنهجهم وإعجابهم بتقاليد أخرى ٠

٤ ـاستبدال الهوية الإسلامية بالهوية الطورانية اوالعربية القومية ٠

٥ ـمحاربة الجهاد في سبيل الله عقيدة وفكراً وسلوكاً ٠

٦ ـتغلغل المد الصوفي المتطرف والشيعي الرافضي ٠

٧ـ إعجاب الشباب بالنماذج التي لا تخدم أمَّتنا بل تفسد عقيدة وأخلاق الأمة المسلمة، كالفنانات والفنانين والمطربين والمطربات وما يقومون به من فساد أخلاقي وعقائدي كذلك ومن يتأمل أغانيهم وكلماتهم لعلم مدى الانحدار الديني والخلقي والأدهى أن منهم من يتدخل فى تفسير بعض المفاهيم الدينية والأقذر أن لهم مستمعون ٠

وتواجه اللغة العربية الكثير من التحديات في عصر الرقمنة تسهم في ظهور العديد من القضايا والمشكلات التي تعوق ظهور المحتوى العربي الرقمي على الإنترنت بشكل يليق بأمة العرب ، حيث تشير الأرقام إلى أن حصة الإنتاج الفكري باللغة العربية المتاح على الإنترنت لا يتجاوز ١% من المعلومات المنشورة على الويب وقد يعود ذلك لبعض الصعوبات اللغوية والفنية لتدعيم هذا المحتوى ٠

بعض التحديات التي تواجه الهوية والثقافة:-

قبل الحديث عن الهوية والثقافة يجب توضيح العلاقة بينهما فهناك علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة، بحيث يتعذر الفصل بينهما ،إذ أن ما من هوية إلا وتختزل ثقافة ، فلا هوية بدون منظور ثقافي ، ولا تستند إلى خلفية ثقافية ، والثقافة في عمقها ، وجوهرها ، هوية قائمة الذات وقد تتعدّد الثقافات في الهوية الواحدة ، كما أنه قد قد تتنوّع الهويات في الثقافة الواحدة ، وذلك يعبّر عنه بالتنوّع في إطار الوحدة ، فقد تنتمي هوية شعب من الشعوب إلى ثقافات متعددة ، تمتزج عناصرها ، وتتلاقح مكوّناتها ، فتتبلور في هوية واحدة وعلى سبيل المثال ، فالهوية الإسلامية تتشكّل من ثقافات الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام سواء اعتنقته أو لا فهذه الثقافات التي امتزجت بالثقافة العربية الإسلامية وتلاقحت معها ، فهي جماع هويات الأمم والشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة العربية الإسلامية، وهي بذلك هوية إنسانية ، متفتحة ، وغير منغلقة وفي زمن تُفرض فيه العولمة الغازية للهويات والماحية للخصوصيات الثقافية على العالم يفترض أن تخلق الحداثة ثقافة عالمية وكونية وإذا كانت صور من هذه الثقافة قد تخلقت عبر العالم خلال تاريخ الحداثة ، فإن الصورة المعاصرة من عولمة الحداثة قد عجّلت بتكوين هذه الثقافة ولا تفهم ثقافة العولمة إلاّ في ضوء مفهوم الثقافة المحلية والوطنية فتلك الأخيرة تتكون من جماع أساليب السلوك

والأفكار والرموز والفنون التي تميّز شعباً من الشعوب ، وعلى الرغم من تنوعّها الداخلي تتميّز الثقافة الوطنية بالتجانس، أما ثقافة العولمة فإنها الثقافة التي تتجاوز الثقافة الوطنية ، متخطية حدود الدول، وتنتشر من خلال آليات تدفق السلع والأفراد والمعلومات والمعرفة والصور وثقافة العولمة التي تتحدي الهوية والثقافة الوطنيتين ، هي ذات خصائص منها أنها ثقافة يصاحبها في الغالب خطاب تقني وعملي ، فهي تنقل عبر وسائل الاتصال الحديثة وتُفرض من أعلي ، من دون أن تكون لها قاعدة شعبية ، أو تعبر عن حاجات محلية ، أو تلتزم بأشكال ومضمون التراث الثقافي التي تنتقي منه وتساعد على تركّز القوة والقوة هنا ليست قوة سياسية فحسب ، بل قوة التكنولوجيا المرتبطة بالمشروعات الصناعية ذات الصبغة الكونية كشبكات الحاسب والإنترنت ، وهي ما يطلق عليه تقنيات العولمة كما أنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة الاستهلاك ، فالعمليات المرتبطة بنشر الحداثة تساعد على نشر القيم والرموز وأساليب السلوك المرتبطة بالاستهلاك وتعمل على خلق نماذج وصيغة موحدة عبر العالم وتنطوي ثقافة العولمة التي تنبثق من الحداثة المادية بخصائصها تلك ،على مخاطر عديدة تتهدّد الهوية والثقافة الوطنيتين في آن واحد مما يؤكد قوة الترابط والتلازم بين الهوية والثقافة أياً كانتا ،وهو الأمر الذي يستدعى تقوية العلاقة بين العنصرين الرئيسيْن من عناصر الكيان الوطني للأمم والشعوب الهوية

والثقافة لأن في الحفاظ على الهوية والثقافة وقايةً من السقوط الحضاري ، وصيانة للذات ، وتعزيزاً للقدرات التي يمكن التصدّيّ بها لضغوط التحدّيات مهما تكن ومن التحديات التي تعترض الهوية، فلها أسباب كثيرة، بعضها خارجي وبعضها داخلي:

بعض العوامل الخارجية

- القرية الصغيرة عالمنا اليوم: من المعلوم اليوم، أن التداخلَ والاختلاط بين الأجناس بات سمةً من سمات العصر، وبما أن المادة حين تختلط بغيرها من المواد تفقد كثيرا أو قليلا من هويتها وطبيعتها، فكذلك الشأن بالنسبة للهويات والأفكار، ينتج عن اختلاطها تغيير كبير أو صغير على هوياتها، ويقل ويكثر التغيير حسب قبولها أو رفضها للذوبان وكذلك الشأن في الهويات المختلطة، فتذوب الهويات الرخوة وتبقى وتصمد الهويات الصلبة المحصنة ضد الذوبان.

- والعالم اليوم قرية صغيرة، لهذا منع أسلافنا حفاظا منهم على الهوية الاختلاط بالأجناس، ووضعوا أبواباً فقهية تتعلق بمنع الإقامة فى بلاد غير إسلامية،وشددوا الأحكام في ذلك غاية التشديد،إدراكا لخطر الاختلاط على الهوية.

- ثورة الاتصال: وإذا كانت العولمة قربت التداخل والاختلاط بين الشعوب بالأنفس، فإن وسائل الاتصال التي عرفت ثورة هائلة قوت

ودعمت هذا الامتزاج دون حاجة إلى اللقاء المباشر، وأصبحت الشعوب كما لو أنها في مجلس واحد، أمام شاشة واحدة تُبثُ منها كلُ الأفكار، وتُنشرُ منها سائرُ المُعتقدات.

بعض العوامل الداخلية

- الجامدون على المتغيرات: ومن العوامل الداخلية التي تهدد الهوية ذوو العقليات الجامدة على القديم، والنافرة والمنفرة من كل جديد وتجديد فهذه العقلية وإن بدا أنها تدافع عن الهوية، فهي من أخطر المهددين لها فهي لا تنظر إلى الهوية من زاوية مقاصد الشريعة، ولكن من نسخة من نسخ الشريعة التاريخية .

- المفرطون في الثوابت: وإذا كان هذا الفريق الجامد مهدداً للهوية ويعرضها بسبب جموده للبلاء والفناء، فثم فريق آخر يقابل هؤلاء المنغلقين مفرطين في ثوابت الهوية، يريدون تجديد كل شيء فيضيع كل ما عنده من أشياء، حتى لا يبقى له من عناصر ومقومات الهوية سوى الأسماء.

والدواء في التوسط بين هؤلاء وهؤلاء، فتحصين الهوية يتم من خلال تثبيتِ كل ثابت، وتطويرِ أو تغييرِ كل ما من شأنه التغيير فالقيم مثل الصدق والعفة والأمانة لا يفرط فيها وهي لا تعاب لقدمها والتلاعب

بالأجنة والعبث بالإنسانية وتهديد البشرية باختراع الأسلحة الفتاكة المدمرة كلها وسائل جديدة لكنها عدوة للإنسانية وخطر على البشرية لكنها مذمومة لا تمدح ٠

وتتعدد مصادر التحديات التى تواجه الهوية، بقدر ماتضعف المناعة لدى الفرد والمجتمع لكن المصدر الأساس الذى يأتى منه التحدى الأكبر لهوية الأمم والشعوب كافة، يكمن فى سياسة الاحتلال الجديدة التى تسود العالم اليوم، وترمى إلى تنميط البشر والقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة، والسعى إلى صياغة هوية شاملة تفرضها فى الواقع الإنسانى، فى إطار مزيف من التوافق القسرى والاجماع المفروض بالقوة والخطورة فى هذا الأمر، أن قوة الإبهام التى تُطرح بها هذه الهوية ذات الهوى الأمريكى تحديداً، تعمى الأبصار عن رؤية الحقائق على الأرض كما هى، مما يؤدى إلى توهم أن هذه الهوية المغشوشة، هى الهوية العصرية ، الهوية الكونية، هوية التحديث والمدنية، الهوية التى ينبغى أن تسود وتقود٠

أما كونها هوية عصرية ، فهذا صحيح من بعض الوجوه ، لأنها مفروضة على هذا العصر بقوة الهيمنة والسيطرة والغلبة، وأما كونها هوية كونية، فهذا أبعد مايكون لأن فى العالم هويات متعددة، بقدر مافيه من ثقافات وحضارات، أما أنها هوية التحديث والمدنية، فينبغى أن نفهم

جيداً أن للحداثة دلالات ومفاهيم ومستويات، فمنها حداثة مادية، وضعية، مقطوعة الصلة بالدين، ومنها حداثة أخلاقية، إنسانية بانية للإنسان بعناصرة المتكاملة وللحضارة فى أبعادها المادية والروحية كذلك شأن المدنية فهى على درجات متفاوتة، فليست كل مدنية تُحمد، وهى على كل حال، حمالة أوجه، ففى الحرب العالمية الأولى والثانية، سقط ضحية المدنية فى أوروبا واليابان عشرات الملايين من البشر ، وفى هذه المرحلة من التاريخ، تندلع الحروب، وتحتل الدول وتقهر الشعوب ، وترتكب الجرائم ضد الإنسانية باسم المدنية ايضاً.

لذلك فإن إضفاء صفة المدنية على هذه الهوية الغازية المركبة من عناصر متناقصة منطوية على روح العدوان على ثقافة الأمم واستغفالها والاستهتار بها، تضليل للرأى العام العالمى، وتزوير لإرادة الشعوب، ودفع بالعالم نحو مزيد من الكوارث والحروب والصراعات.

إن إلزام العالم بأسرة، بانتهاج نظام سياسى واقتصادى واجتماعى وثقافى واحد،عمل ضد سنن الله فى خلقة، بقدر ما هو خروج على منطق التاريخ وقانون الطبيعة، ولئن كان مصير سياسة الاحتلال الجديدة سائراً إلى إفلاس لامحالة، فهذا لايمنع من استمرارها إلى أمد قد يطول فى طمس الخصوصيات الثقافية والحضارية للهويات الوطنية للأمم والشعوب فى المديين القريب والبعيد لذلك نقول إن الخطر الذى يتهدد

الهوية خطر حقيقى واقع فعلاً، يزحف نحو المزيد من الغزو والاكتساح والعدوان، وهو حقيقة واقعية قائمة فى حياتنا، نعيشها ونشاهد آثارها المدمرة للعقل والوجدان، والمهددة لسلامة الكيان الإسلامى باعتبار أن الحرب ضد الكيان الإسلامى بصورة عامة، فالحرب ضد الهوية، يقصد بها تمهيد الطريق نحو فرض الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والثقافية ولقد استبدل الغرب، خاصة قوى الاحتلال الجديدة، بالركائز الثقافية والدينية القديمة مقولات جديدة تضع الأخلاق فى خدمة الهيمنة والعنف، والدين فى خدمة نظام رأسمالى منتصر، والثقافة وقيمتها فى خدمة فلسفة القوة،وباتت نظرة الغرب إلى ذاته تتسم بنرجسية مرضية يلازمها خوف دائم من فقد السيطرة والدخول فى مرحلة الأفول والانحطاط، كما قال بذلك أكثر من فيلسوف أوروبى وأمريكى،فى أكثر من كتاب ومقالة وبالبحث فى سبب انكسار الشباب العربى والمسلم أمام الثقافات الغربية؟ يقول الأستاذ الدكتور شفيق عياش عميد كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة القدس: يمثل المحور الثقافي الامتداد الأوسع لحركة العولمة الثقافية، ولعلي هنا أبرز بعض التحديات التي تأتي بها العولمة، وتطال في هذا المحور كافة العناصر المكونة للوجود الديني و الانتماء للدول المستهدفة عبر وسائل متبعة لنشر ثقافة التغريب والعولمة، ومن ذلك:

١ـ تحريف المفاهيم الدينية، كي تتفق مع الأفكار التي تروجها العولمة

المعاصرة،باستبعاد الإيمان بالغيبيات واعتباره مضادا للعقلانية العلمانية.

٢- إيجاد فئات وشرائح ومؤسسات في المجتمعين العربي والإسلامي تعمل كوكيل للثقافة الغربية، بتقديم المساعدات المالية لمشاريع أبحاثها وعقد ندوات تدعم توجهاتها الثقافية للهيمنة على الثقافتين العربية والإسلامية.

٣- إنشاء مجموعة من المراكز والمؤسسات التي تؤثر مباشرة على الثقافة العربية،مثل: جامعات التبشير ومراكز اللغات والترجمة ومؤسسات خيرية ومدارس أجنبية يتمثل دورها جميعاً في التأثير الفكري والتربوي واللغوي على طلبة العلم والمعرفة، وفرض مناهجها وأفكارها مع التقليل من مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية، ثم القيام بالتنصير والخطورة تكمن في تخريج هذه الأجيال على النهج المريب من التغريب وهي أجيال تقط كل صلة بماضيها وتراثها وثقافتها ولن يكون لها ولاء ولا انتماء لآبائها وأقرانها ممن يتخرجون من المدارس العربية، وكأننا نعمل على إيجاد حالة من الانفصام في شخصية المجتمع وبنيته الأساسية تبدو آثاره في ظاهرة استعلاء لغوي ومباهاة بلغة الغرب وثقافاتهم وإعلامهم.

٤ـ يعد الإعلام مرتعاً خصباً وفسيحاً يتم من خلاله الغزو الثقافي لإشاعة الفواحش والمنكرات من أجل تحطيم القيم والثوابت الأخلاقية، ولقد تحولت وسائل الإعلام إلى قنوات لبن مسموم ونشر للرذيلة والانحطاط بالغريزة البشرية وانهيار السلوك الإنساني والتباس الحق بالباطل والهدى بالضلال والخير بالشر ٠

٥ ـ إن قنوات التلفزة تشكل تهديداً خطيراً ومعول هدم للهوية الإسلامية الحضارية والثقافية من خلال بث البرامج والأفلام والمسلسلات الخليعة والمسرحيات الهابطة، ولقد كشفت دراسة قام بها تسعة من أطباء علم النفس على مدى خمس سنوات في جريدة الرأي الكويتية عام ١٩٩٢م، أظهرت أن البرامج المتلفزة تؤثر على الأطفال المراهقين وتدفعهم إلى الصراعات وتجعلهم أكثر تقبلاً للعنف الجنسي، وكشفت هذه الدراسة أيضاً أن أفلام الرسوم المتحركة تتضمن مشاهد عنف تزيد بمعدل أربع أو خمس مرات عما يشاهد في الأفلام التي تعرض بعد ذهاب الأطفال للفراش، فعلى الرغم من كل هذه المظاهر التي وضحتها كل هذه الدراسات نرى تكالب أجهزة الإعلام على هذه المنتجات الإعلامية ٠

ويقول الباحث الدكتور إبراهيم متولي: إن التحدي الملح تجاه العودة بالهوية الإسلامية هو التحدي التربوي، وباستقراء الدراسات التربوية

الخاصة بهذا الاتجاه يتضح أن ثمة أمور لا بد من التأكيد عليها لعل من أهمها ما يلي:-

١- أن العالم الإسلامي يتعرض لمجموعة من التحديات والمخاطر لا بد لأنظمة التعليم والتربية من مواجهتها بصورة حاسمة.

٢- حاجة المجتمعات العربية والإسلامية إلى صياغة حديثة لنظرية تربوية إسلامية تكون في مواجهة التحديات والمخاطر التي تحدق بالأمة العربية الإسلامية.

٣- أن التعليم في القرن الحادي والعشرين يرتكز على مجموعة من المبادئ،هي: بيئة تعليمية جديدة-التعليم الشخصي - تعليم مبتكر للمعرفة - التعليم مدى الحياة، وكلها أساسيات مبدئية للتعليم الحديث يجب ألا تهملها النظرية الإسلامية الحديثة في مواجهة التغريب والعلمنة.

٤- أن المجتمعات العربية الإسلامية تتعرض الآن ومستقبلاً لمجموعة من الأخطار والتحديات بعضها داخلي كالتغير في التركيب السكاني، وتغيرات الثقافة والقيم، والتغيرات الاجتماعية المختلفة، وبعضها خارجي: كالثورة العملية والتكنولوجية، والتوتر بين العولمة والمحلية، والتغيرات الاقتصادية والسياسية التي يشهدها العالم ، والطريقة الوحيدة

لمواجهة ذلك هي التنشئة العلمية التربوية القوية والممنهجة لأبناء تلك المجتمعات والشعوب.

٥- المدرسة الإسلامية المستقبلية هي إحدى الأفكار التربوية التي ينشدها التربويون العرب والمسلمون لمجابهة تلك الأخطار والتحديات، حيث إن المطلوب منها شيئان؛ الأول: يتعلق بالكيفية التي يتم من خلالها التعامل مع تلك الأخطار والتحديات والأمر الآخر مراعاة الخصوصية والذاتية العربية الإسلامية التي تتميز بها الهوية الإسلامية ونحن نستطيع أن نحدد سبب الانكسار لدى الشباب المسلم أمام تلك الثقافات بعدة أمور هامة:

١- الفراغ النفسي والمعنوي لدى الشباب المسلم، وعدم وجود شخصية نموذج يأمل أن يتشبه بها في ظل رؤياه لشخصيات دنيوية مادية أثبتت نجاحات متتالية على المستوى المادي والتكنولوجي والشباب المسلم هنا بحاجة ماسة لبناء الطموح عنده عن طريق توجيهه للاقتداء بكبار وعظماء الأمة الإسلامية في تاريخها الزاهر وبأبطالها أصحاب الإنجازات المشاهدة في عصرها الحديث.

٢- الهجمة الإعلامية التي تصور المسلمين بصورة دونية مستذلة مع ضعف العزة داخل أولئك الشباب تجاه الإسلام والاعتزاز به أدى إلى

هروبه من التشبه بتلك الصورة المنكرة إعلاميا إلى صورة محبوبة إعلامياً.

٣- الارتباط بالهوية الإسلامية والثقافة الإسلامية الضعيف، ويحتاج إلى جزء كبير من اليقين والإيمان باليوم الآخر وبقدرة الرب سبحانه وبالقضاء والقدر،والشباب مع ضعف إيمانهم بتلك الأسس، وعدم تربيتهم عليها يخرجون مستنكرين للهوية الإسلامية التي يرونها مقيدة لحريتهم اللا محدودة التي تقدمها لهم الثقافات الغربية التي تقدم الحاجات المادية والشهوات كمادة أساسية مباحة دائماً بغرض التفرغ للعمل.

ثالثاً: التوصيف الخاص للمشكلة والتشخيص الدقيق للمرض لإمكانية الانطلاق للعلاج:

يقول د. مصطفى حلمي: القضية ليست في الهوية بل القضية في الأمة الإسلامية فالإسلام هو المستهدف لأن الغرب عامة يعلم أن الإسلام هو البديل الحضاري الأوحد لثقافتهم وحضارتهم وهو البديل القوي الذي يمكنه أن يملأ الفراغ الذي تعانية الحضارة الغربية اليوم بخلاف الأطروحات الصينية أو اليابانية التي لا تقدم جديداً يغني، والغرب يخشى مما يسميه الحركات الأصولية التي تمثل بعثاً جديداً للهوية الإسلامية إذ إنها في حالة صعود مقلق بالنسبة لهم، فالجماهير التي تؤيد الحركات

الإسلامية اليوم هي نفسها التي كانت تؤيد الناصرية والبعثية منذ عشرين عاماً ٠

ويقول الدكتور شفيق عياش: إن المخاطر المحدقة بالثقافة الإسلامية من جانب العولمة المعاصرة، خاصة مع ظهور وسائل الإعلام الحديثة التي تعمل على نشر ثقافة العولمة، وتهدف إلى تعريض المقومات الحضارية للأمة كالدين واللغة والثقافة يتطلب التعاون من أجل وضع خطة استراتيجية محكمة كفيلة بالتغلب على مخاطر العولمة الثقافية من أجل إنقاذ شباب الأمة وحمايتهم من الانحراف الأخلاقي والسلوكي٠

ولا يخفى على مفكري الأمة الإسلامية ومثقفيها أن من أعظم التحديات التي تواجهها الهوية الإسلامية المفارقة بين المبادئ الإسلامية ذاتها سلوكاً والتزاماً، أي أن هناك هوة كبيرة فاصلة بين القيم والسلوك، وبين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون،لذلك يرى البعض أنها فتنة ثقافية واضمحلال للقدرة على التمييز بين الصواب والخطأ وعجز عن اتخاذ قرارات مصيرية، مما يجعلها أزمة داخلية تفتح الباب على مصراعيه لشتى أنواع الغزو الخارجي لتدمير الهوية الإسلامية[1]التي تواجه في حقيقة الأمر تيارين متضادين، الأول: خارجي غازي والثاني: داخلي

١- تجديد الوعي- د/عبدالكريم بكار، ص ٧٣_٧٤

منغلق، لا يعي أن سلطان الفكر الغربي وعدم الذوبان والاضمحلال فيه،لا يعني أيضاً التقوقع والانغلاق، وإن قيل إنه يصعب الفصل بين المعطيات الحضارية وبين الأمة التي صاغتها، فإننا نؤكد على أن الأمة الإسلامية في نهضتها الأولى أفادت من الأمم التي عاصرتها علوماً ومعارفاً أخذتها في صورتها الخام وأعادت تشكيلها من جديد بما يوافق نهجها وتصورها فتبرز هنا أهمية منهج الانتقاء، فنحن لا نريد أن نستورد قيم الغير كما هي لنبني عليها حضارتنا، فهنا مكمن الخطر الحقيقي والانهزام والانكفاء الذي يقدمه على وجه خاص بعض من يطلق عليهم ممثلوا النخبة الثقافية والفكرية والحقيقة أن أول أهداف تلك التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية على مر العصور هو تذويب الهوية الإسلامية بالقضاء على مقومات كيانها وعلامات القوة فيها واحتوائها بأخلاق الضعف والانحلال والإباحية قال تعالى:(وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاالنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)[1] وقال تعالى: (وَلايَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)[2] وإن كان استمرار الصراع الفكري وبقاءه محتدماً هو قضاء الله تعالى، فإن دفع الناس بعضهم ببعض، وضرب الباطل بالحق أيضاً سنة ثابتة من سنن الله تعالى (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ)[3]

١-البقرة، آية ١٢٠ ٢- هود، آية ١١٨ ٣- البقرة، آية ٢٥١

ومن مكائد أعداء الإسلام في هدم الهوية الإسلامية، استخدامهم وسائل كثيرة لتجزئة الأمة الإسلامية الواحدة،منها: دعم الخلاف السياسي ، بتغذية الأنانيات المختلفة والاختلاف الطائفي ،بإلقاء جرثومة الخلاف في العقائد والاختلاف المذهبي بتشجيع التعصب المذهبي الذميم والاختلاف العرقي والقومي واللّغوي ٠٠ إلخ[1] ٠

معالم الهوية الإسلامية والتحديات المعاصرة

- الدين الإسلامي المُكوّن الأول لهويتنا العربية والعمود الفقري لشخصيتنا القطرية ٠

- الحفاظ على هويتنا لا يعني الإبقاءَ على الأشكال والوسائل التي مِنْ شأنها التغيير ٠

- الفقه الصحيح لا يبنى على ما قال الشرع فقط بل على ماذا أراد الشرع ٠

- كم من أممٍ وأشخاصٍ يجْرون خلف ما يظنونه مصالحَ مُنَمقة وهي مفاسد مُحقّقة ٠

١- الأمة الربانية الواحدة -عبد الرحمن حبنكه ص ١٢١

- التطرف بوجهَيْه والغلو بنوعيه يشكل أكبر تهديد للهوية والوسطُ طوق نجاة.

- اللغة العربية تمثل لسان هويتنا والتواصل مع أهلنا ولغة الحوار مع أمتنا.

- الاختلاط بين الأجناس محتم وتحصين الهوية دينيا يجعلها صلبةً عن الذوبان.

- العقليات الجامدة على القديم من أخطر المهددات للهوية وإن بدا أنها تدافع عنها.

- أوروبا ظلت نائمة عن أرسطو وفكره قرونا حتى نفض غباره ابن رشد

هل الهوية الإسلاميَّة في خطر حقيقي؟

حين يندمج المجتمع المسلم مع مبادئ وأسس العقيدة الإسلامية ويتمثلها واقعاً ومنهج حياة، يكون هذا المجتمع معبِّراً عن مصطلح الهوية الإسلامية،والهوية تقوم على أربعة أسس وعناصر العقيدة والتاريخ واللغة والأرض فإن تكونت هذه العناصر الأربعة في الأمَّة المسلمة عبَّرت بمجموعها عن الهوية الإسلامية المقصودة وهناك من يريد إيقاع الهوية الإسلامية في الذوبان بالكافر الذي يسمونه الآخر،إلاَّ أنَّ الهوية الإسلامية كمفهوم عقائدي وكأمة مسلمة معصومة من

الذوبان، لن تقع في خطر الذوبان في الهويات الأخرى على وجه مطلق، فالله تعالى يقول: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فقط قد تضعف الهوية الإسلامية لدى بعض المجتمعات دون بعضها الآخر، ولكن أنَّ تذوب الهوية فهذا لا ولم ولن يكون،لأنَّ هذا الدين محفوظ بحفظ الله وقد تكفل الله به نعم هناك متربصون يتربصون بهويتنا الإسلامية وأمتنا الدوائر كما قال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم)، وهناك تقارير معاصرة صدرت يتضح منها أنَّ أعداء الإسلام يريدون محق الهوية الإسلامية الصحيحة وإزالتها، ولو قلَّبنا صفحات تقرير من تلك التقارير كتقرير مؤسسة راند الذي يصدر تباعاً في كل سنة وقرأنا خططهم لعلمنا تلك العداوة الحقيقية لهويتنا العربية والإسلامية بشكل واضح.

قال الرئيس الأمريكي مرة الأسبق ريتشارد نيكسون في مذكِّراته أنه ليس أمامنا بالنسبة للمسلمين إلاَّ أحد حلَّين :الأول : تقتيلهم والقضاء عليهم والثاني : تذويبهم في المجتمعات الأخرى المدنيَّة العلمانيَّة وصدق الله تعالى حين قال عن أعداء المسلمين: (إنَّهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملَّتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً) لهذا نجدهم يركزون كثيراً على حرب الأفكار، ومن أوائل من نادى بذلك زينو باران وهي باحثة تعمل في مركز نيكسون ، الصادر عنه تقرير بعنوان القتال في حرب الأفكار وممَّن اعتمد ذلك وبشدَّة دونالد رامسفيلد؛ فكثيراً ما كان

يصرِّح بأهميَّة غزو العالم الإسلامي ثقافياً ، ومنهم كذلك دنيس روس المبعوث الأمريكي السابق للشرق الأوسط ، فقد كان يدعو ولا يزال إلى علمنة الدعوة الإسلاميَّة، وجمع كبير من قادة الدول الغربيَّة وجاء على لسان أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل عام ١٩٦٧ في محاضرة له بجامعة بريستون الأمريكية قوله: يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبه الإسلامي بعد الهزيمة، وفي ذلك خطر الحقيقي على إسرائيل، لذا كان من أول واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي وأذكر حادثة مهمة وهي أنَّه في عام ١٩٤٨ عُقِدَ لقاء بين ضابطٍ عربي كبيرٍ وقع أسيراً في الحرب، وبين قائدٍ عسكريٍّ صهيونيّ وفي هذا اللقاء: سأل الضابطُ العربيُّ مستفسراً، عن سبب عدم مهاجمة الجيش الصهيونيّ قرية صور باهر القريبة من القدس فأجابه القائد الصهيونيّ: لأنّ فيها قوّةً من المتطوّعين المسلمين المتعصّبين الذين لا يقاتلون لتأسيس وطنٍ كما يفعل اليهود، بل يقاتلون ليستشهدوا في سبيل الله وعندما سأله الضابط العربيّ عن الأمر الذي يجعل اليهود يخافون من هؤلاء إلى هذه الدرجة، أجاب القائد اليهوديّ إنه الدين الإسلاميّ ثم استدرك قائلاً: إنّ هؤلاء المتعصّبين، هم عقدة العقد في طريق السلام، الذي يجب أن نتعاون جميعاً لتحقيقه، وهم الخطر الكبير على كل جهدٍ يُبذل لإقامة علاقاتٍ سليمةٍ بيننا وبينكم إنّ أوضاعنا وأوضاعكم لن تستقرّ،حتى يزولَ هؤلاء،وتنقطع صرخاتهم

المنادية بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله،هذا المنطق الذي يخالف منطق القرن العشرين قرن العلم والمعرفة وهيئة الأمم والرأي العام العالميّ وحقوق الإنسان وهناك مخاوف تصل إلى حدِّ الرهاب والهلع من الإسلام الذي يعرفه الأعداء كما يعرفون أولادهم، فهناك تصريحات واضحة تظهر مدى خوفهم من هذا الدين، فهذا أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية يقول عام ١٩٦٧ إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي بفلسفته وعقيدته المتمثلة في الدين المسيحي ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها وقال فيليب فونداسي رئيس المكتب الخامس الفرنسي لمصلحة التجسس الفرنسية في مقدمة كتابه: الاحتلال الفرنسي في أفريقيا السوداء :إنَّ هذا الإسلام يؤلف حاجزاً أمام مدنيتنا المبنية كلها من مؤثرات مسيحية ومن مادية ديكارتية فإنَّ الإسلام يهدد ثقافتنا في أفريقيا السوداء وعلى الرغم من أن بعض النفوس المتسامحة تميل بطبيعتها وعن رضى منها إلى عدم تقدير خطر الإسلام حق قدره فإنه يبدو في الظروف الحالية للتطور الاجتماعي والسياسي لعالم البشر أنه من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، أو تحاول على الأقل حصر انتشاره، وأن يعامل وفق أضيق مبادئ الحياد الديني ٠

ويمكن الإشارة إلى الوثيقة المسماة الإستراتيجية المشتركة للاتحاد الأوروبي في المتوسط التي أصدرها مؤتمر قمة الاتحاد الأوروبي في يونيو سنة ٢٠٠٠م وتشير الوثيقة صراحة إلى سعي الاتحاد إلى تغيير بعض القيم الدينية في الدول العربية المطلة على البحر المتوسط بحيث تتوافق مع القيم الأوروبية فهناك إذاً فئات متطرفة ومعادية للإسلام تحاول المكر بالمسلمين والنيل من حرماتهم وهويتهم، بغياً وإثماً وعدواناً، ولكن لن يتم لهم ذلك والله متم نوره ولو كره الكافرون.

هل يوجد تعارض بين الهوية الإسلامية والانتماء الوطني؟

يظهر مصطلحان يتعمد البعض الخلط بينهما،الأول مصطلح الوطنية، والثاني حب الوطن،والفرق بينهما وبين مدلولهما كبير، فمسألة حب الوطن مسألة قديمة قدم الإنسان، حيث تعود الإنسان على حب مسكنه، ومربع طفولته، ومرتع صباه وشبابه، وهو معنى جميل، وخلق راق، لا تعارض بينه وبين مفهوم الهوية الإسلامية، بل المسلمون الصادقون من أشد الناس حباً لأوطانهم، ومن أكثرهم حرصاً على جلب الخير، ودفع الضر عنها أما المشكلة والخلط فيقع في مفهوم الوطنية وهو مفهوم حديث ظهر بعد سقوط الخلافة، وتفتت العالم الإسلامي وانشطاره إلى دويلات صغيرة، وقد يعمل على إثارة النزاعات والعصبيات بين أفراد الأمة الواحدة، بعيداً عن رابط الدين والعقيدة، ويعني الانتماء إلى الأرض

والناس،والعادات والتّقاليد، والفخر بالتّاريخ، والتفاني في خدمة الوطن، بعيداً عن الدين، وبذلك تفتت الهوية الإسلامية العامة إلى هويات خاصة، فظهرت هوية مصرية،وجزائرية، وثالثة عراقية، وصارت العصبيات هي المحرك الأساسي لهذه الهويات،وربما نشبت بينهم الحروب لأتفه الأسباب لذلك نقول: إن أحب الأوطان لنا هي مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة، ثم بيت المقدس، وماعدا ذلك من بلاد الإسلام فلا نفاضل بينها عصبية، مع احتفاظنا بالحب الفطري والجبلي لأماكننا وبلادنا التي تربينا فيها، ورتعنا وشربنا من مائها.